«اقبل شريكك فى الحياة على علاته » .

وهو يعنى أنك لن تتزوج ملكاً ، لكن ستتزوج امرأة بشراً ، لها طبيعتها البشرية ، وهى أنها تخطئ وتصيب ، وقد يكون لديها طباع معينة لا تعجبك ، أو نوع من التقصير مستمر معها ، ولا تستطيع التخلص منه ،فماذا نفعل ؟ .

لابد أن تعود نفسك على هذا الأمر خصوصاً إذا كان هذا الأمر أمراً ثانوياً ، فليغفر لها حبها لك ، واهتمامها بك ، ومحاولتها القيام بواجبها حق القيام ، ليغفر لها ذلك ما يعتريها من تقصير ، فطالما المجموع مرتفع والحصيلة جيدة ، فلا تظل تطلب المثالية بإلحاح لأنك لن تجدها لا فى الطباع ولا فى مستوى الخدمة والأداء بصفة دائمة ، وحين نفهم هذا نفهم حديث رسول الله ﷺ : « **لا يفرك** [(١)] **مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً ، رضى منها خلقاً آخر** »[(٢)] .

● افتراض التغير السريع لأخطاء الزوجة :

إن الزوج يتعب نفسه كثيراً عندما يريد تغيير طباع الزوجة أو أخطاءها بسرعة ، ولا يراعى عامل الزمن فى علاج الخطأ .

إن أغلب الأخطاء تأتى من عادة تعودها الإنسان فى سابق حياته ، أو طبعاً تطبع به ، وكلاهما أمر يحتاج علاجه إلى وقت طويل ، وليس وقتاً وفقط ، وإنما يحتاج أيضاً إلى مجاهدة للنفس ، وصبر ومعرفة بطرق التربية وتغيير النفوس .

والحياة الزوجية بلا شك بالنسبة للشاب أو الفتاة حياة جديدة ومختلفة عن حياته السابقة ، ومن ثم فإنها تختلف سواء فى متطلباتها أو فى طبيعتها

---

(١) يفرك :يعنى يبغض .
(٢) رواه مسلم (٣٦٣) .

الحياتية ، وعلى سبيل المثال المرأة التى تعودت فى بيتها أن تلبى لها الطلبات ، وأن يقوم غيرها بخدمتها ، قد لا تستطيع القيام بخدمة زوجها بالصورة المطلوبة ، أو تتململ من طلباته المتزايدة ، وهى تحتاج إلى وقت كاف كى تتعود على الحياة الجديدة ، أو قد تكون المرأة قد تعودت فى بيت أبيها على مستوى معين من المعيشة ، فإذا تزوجت من هو أدنى من هذا المستوى بكثير نشأت المشاكل وكثر تقصيرها وإهمالها لعدم تعودها على مثل تلك الظروف ، لذلك نقول : أن الكفاءة فى الزواج مطلوبة درءً لمثل هذه المشكلات ، والتى تنشأ من الفروق فى المستوى المعيشى « الاقتصادى » بين الحياتين ، حياة الفتاة فى بيت أبيها ، وحياتها فى بيت زوجها ، ولكن وقد أصبح الأمر واقعاً فإن على الزوج أن يراعى مثل هذا الأمر ، ويضع عامل الزمن فى الحسبان ، ولا يطالب زوجته بالتعود على الحياة الجديدة سريعاً سريعاً ، وإلا فإنه سيضطرها لأن تهاجمه بالقول بأنها لم تتعود على مثل هذه الظروف ، وإن عليه أن يوفر لها مستوى معيشى مثل ذلك الذى تعودت عليه من قبل ، ومن هنا ندرك أهمية حديث رسول الله ﷺ : « **تخيروا لنطفكم ، فانكحو الأكفاء ، وأنكحوا إليهم** » [(١)] .

وإن كانت الكفاءة فى الدين هى الأصل ، إلا أن هذا يشمل أيضاً الكفاءة فى المستوى المادى والأدبى بجميع فروعه ، ثم على الزوج بعد كل هذا أن يعلم أن هناك أخطاء أو طباعاً أو عادات معينة فى زوجته لن تتغير ، وربما كان هذا مقصود القول الذى نقلناه آنفاً عن قبول شريك الحياة على علاته ، يقول لورانس جولد فى « استمتع بالحياة » [(٢)] .

---

(١) رواه ابن ماجه (١٩٦٨) والحاكم (٢٦٨٧) والبيهقى فى الكبرى (١٤٠٦٠) وغيرهم .
(٢) « استمتع بالحياة » لورانس جولد .

« وأفضل ما يشبه به الزواج هو « محل البقالة » الذى تجد فيه أصنافاً من الأغذية « جاهزة » ولا تجد فيه أصنافاً تعد لك « حسب الطلب » فالمجال حينئذ أمامك هو اختيار أنسب الأنصاف وأقربها إلى طلبك ، ولو أنك أخذت الزواج هذا المأخذ لوجدته أبهج وأمتع » [(١)] .

وهذا طبعاً لا يمنع من محاولة تغيير الصفات السيئة عند الزوجة ، خصوصاً إذا كانت أخطاء شرعية ، فهذا واجب على الزوج ، لكن ينبغى عليه الصبر عليها ، أما الطباع والخصائص المتأصلة فى النفوس ، ولا تخص النواحى الشرعية ، فهى أمور قابلة للأخذ والرد ، ويمكن التغاضى عن بعضها والتعامل معها كأمر واقع ، وفى كل الحالات ينبغى أن ندرك أمراً هاماً وهو أن الزمن جزء من العلاج .

● نسيان طبيعة المرأة عند معالجة أخطاء الزوجة :

بعض الناس يفترض فى زوجته أن تقف عند كلمتها ولا تتراجع ، وأن تثبت عند المواقف الصعبة ولا تتزلزل ، وأن تفكر بعقلها فى الأمور كلها ولا تغلب جانب العاطفة ، وأن لا تتسرع فى الغضب أو الإستثارة ، وأن تكثر الصمت وتقلل الثرثرة ... إلخ ، إنه يفترض أشياء من الصعوبة أن توجد فى المرأة ، إنها ليست رجلاً ، لابد أن يدرك الزوج أن زوجته امرأة لها صفات النساء ، وطبائعهن ، وأنها تنشأت تنشئة أسرية واجتماعية مختلفة عن أخيها مثلاً ، فهى من الممكن أن تتراجع عن كلامها ، وهى تنهار بسرعة أمام المواقف الصعبة وتبكى ، وكثيراً ما يحدث أن تغلب عاطفتها على عقلها ، وأنها تحب الكلام ، والثرثرة خاصة فى « الهاتف » ، وأنها تنسى كثيراً ، وقد تهتم هى بأشياء أنت

---

(١) « استمتع بالحياة » لورانس جولد .

قد تعتبرها تافهة ، لكنها بالنسبة لها أمر مهم ، هى امرأة ولها طبيعتها واهتمامها ، ولابد أن يدرك الزوج هذا الأمر ، ولا يحاول أن يناطح تلك الطبيعة أو يقسو عليها ، إن هذه الأمور هى ما تجعل المرأة ، مختلفة عن الرجل ، وهى ما تجعلها جذابة بالنسبة له ، وهى ما تناسب رسالة المرأة فى الحياة ، التى تختلف عن رسالة الرجل .

فالرجل لديه عزم فى الأمور وشدة لأن رسالته فى الحياة وقيامه بالأعباء الخارجية وظروفها القاسية تحتاج هذا الأمر ، والمرأة لديها عاطفة جياشة ورقة ونعومة ونحوها ، لتناسب رسالتها الأصلية ، كزوجة وأم ، كما أن المرأة لها ظروفها التى تتسبب فى النسيان أحياناً ، وعدم مخالطة المجتمع بطريقة مثل طريقة الرجل ، مما يجعلها لا تستطيع القيام بالأعمال التى يقوم بها الرجال بصفة عامة ، وإن كانت تستطيع القيام ببعضها .

والخلاصة :

أن المرأة أساساً تختلف كثيراً فى طبيعتها وطريقة تعاملها مع الأشياء عن الرجل ، وعلى الرجل أن يدرك هذا الأمر ، فلا يفترض أن يتعامل مع طباع مثله ، إنما ليفترض أن ثمة اختلافاً فى الطباع ولابد ، وحين نفهم هذا نفهم قول رسول الله ﷺ : « **استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خُلقت من ضلع ، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء** » [(١)] .

● ربط أخطاء الزوجة بعلاقتها بأهلها :

يعمل بعض الأزواج على ربط أخطاء زوجته دائماً بعلاقتها بأهلها ، فإذا

---

(١) رواه البخارى (٣١٣) ، ومسلم (٣٦٣١) وغيرهما .

أخطأت فى شيء ما ، فهى متعمدة هذا الخطأ ، وأن أهلها هم السبب فى ذلك ، هذا التفكير ، وهذه الطريقة فى التعامل مع أخطاء الزوجة تتسبب فى عدم حل أى مشكلة ، وتساعد على تفاقم المشكلات ، فإذا كانت علاقة الزوج بأهل زوجته غير طيبة مما يدفعه لهذا الكلام ، فلابد من إصلاحها ، وليعلم الزوج أن الله تعالى حين شرع الزواج أراد سبحانه وتعالى بهذه السُّنَّة أن تتصاهر العلائلات وتعم المودة والرحمة بين المسلمين ، قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾** ﴾ [الفرقان : ٥٤] .

أما أن تسوء العلاقات بين الأصهار فهذا ليس بهدى الإسلام ، ثم على الزوج أن يحسن الظن بزوجته ، ولا يفسِّر أى عمل ، أو أى خطأ منها على أنه خطأ متعمد ، أو أن أهلها يأمرونها بذلك ، وبعض الأزواج يفعل هذا ليتخذه حجة وذريعة ليمنع زوجته من زيارة والديها ، وفى هذا قطع للأرحام ، وهو قطع لما أمر الله به أن يوصل ، ويستحق العقاب الدنيوى والأخروى ، حتى وإن كان الوالدان على غير الطاعة لله رب العالمين ، وهل هناك أشد من الإشراك بالله ؟! إنه ليس بعد الكفر ذنب ، ومع ذلك فقد أمر الله تعالى من كان أبواه مشركين أو يحثانه على الشرك أن يصاحبهما فى الدنيا معروفاً من غير طاعة لما يأمرانه به ، قال الله تعالى : ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾** ﴾ [لقمان : ١٥] .

إن على الزوج أولاً أن يكون منصفاً ، وأن لا يتهم أصهاره بما لم يقم عليه دليل ، فقد يكون مخطئاً ، وكثير من المشكلات التى كانت تحدث بين الزوج وزجته لمثل هذا الأمر وجد أن الزوج كان مخطئاً فى استنتاجاته ، وكان يسيء الظن ، ويتبع الشهبات .

إن على الزوج أن يقيم علاقة طيبة مع أصهاره ، ولا يمنع زوجته من برهم ، فمهما يكن من أمر فإن لوالديها حقاً كبيراً عليها ، ومقاطعتهم لا تجوز لأى سبب من الأسباب ، يمكن تحديد العلاقة بطريقة ضيقة إن خيفَ على الزوجة من أهلها إن كانوا أهل سوء ، أو عليهم شبهات سيئة السمعة ، لكن لا تقاطعهم ، وإنما تصاحبهم بالمعروف وتدعو الله لهم ، وتدعوهم إلى الإلتزام بتعاليم الإسلام وسلوكياته ، أما وإن كانوا على خير وهناك سوء تفاهم بينهم وبين الزوج فيجب إزالة هذا التفاهم السيء ، وإحلال حسن النوايا محله ، وبرهم ، وزيارتهم والإحسان إليهم .

● عدم اختيار الوقت المناسب لعتاب الزوجة :

كما يقال : « لكل مقام مقال » وقد يحاول الإنسان إصلاح شيء ما ويتخذ لذلك الوسيلة المناسبة ، ومع ذلك يفشل فى هذا العلاج ، أو يكون مخطئاً ، لسبب آخر ألا وهو عدم اختيار الوقت المناسب للعلاج ، فاختيار الوقت المناسب لإصلاح الخطأ مهم جداً ، لأننا نتعامل مع نفس بشرية تفرح وتحزن ، وتتأثر بما حولها من أحداث ، ومما يقع فيه بعض الأزواج أنه يأتى ليعاتب زوجته فى وقت غير مناسب للعتاب ، كأن يعاتبها مثلاً وهى مرهقة من كثرة أعباء البيت وهى فى قمة انهماكها فى العمل فتشعر عندئذ بالإحباط ، فهى تعمل وتؤدى ما عليها ، ومع ذلك تنال ما يحط من أعمالها من كلمات عتاب أو تذكير لها بأنها قصرت فى أعمال أخرى ، وقد يدفعها هذا إلى الإحباط وعدم اتقان أى عمل لأنها سوف تظن أنها مهما فعلت فلن يرضى عنها زوجها ، لكن ما المانع أن يمدح الزوج فعلها ويقول لها : إنك تتعبين وتبذلين جهداً مشكوراً ، ثم بعد أن تجلس وترتاح يذكرها بما نسيته من أمور ، ولا يطلب منها فعلها فى الحال ، ولكن يقول لها ذلك على سبيل التذكرة فقط ، فسوف تستجيب إن شاء الله ، لأنها ستشعر بحسن تقدير زوجها لما تفعله

وتؤديه ، لأنه أكثر ما يسبب للزوجة التعب أن تشعر أنها تعمل كل شيء ثم هى غير مشكورة ، وتنهال عليها انتقادات زوجها ... أيضاً حين يختار الزوج وقت الخلوة بينه وبين زوجته وبعد أن يستمتع بها يجلس ليعاتبها فى بعض الأمور التى قصرت فيها ، حين يفعل هذا الأمر يكون قد أخطأ خطأ كبيراً فى طريقة معالجة أخطاء زوجته ، لأن هذا ليس وقتاً لذلك ، لحظات السعادة دعها تفوت وتمر كما هى بدون أن تتكدر وتتغير فيها النفوس ، فلحظات السعادة فى الدنيا قليلة ومعدودة ، وليس من الفطنة أن نحولها إلى الوجه الآخر ، وليس معنى هذا أن يعاتب زوجته أمام أحد الأولاد أو أمام الغير ، ولكن العتاب يكون على انفراد وفى وقت غير وقت اللقاء الذى بينهما .

إن الوقت المناسب للعتاب بين الزوجين أو لعتاب الزوج زوجته ، يختلف من امرأة لأخرى، ويخضع فى النهاية لطبيعة تلك الزوجة لمزاجها ، ولحالتها النفسية ، ويستطيع كل زوج من خبرته مع زوجته أن يعرف الوقت المناسب لمثل هذا الأمر من غيره ، وعليه ألا يعتمد أن يعالج أخطاء زوجته فى وقت غير مناسب ، لأن ذلك لن يعود على الأسرة بالخير ، وقد يؤدى إلى تفاقم المشكلات لا إلى حلها ...

● النقد اللاذع :

إن السعادة الزوجية تتحطم على صخرة النقد اللاذع للزوجة ، والنقد المستمر ، إن هناك من الأزواج من يعلق على كل خطأ تفعله الزوجة فينتقدها باستمرار ، وبهذا يحول حياتها إلى سلسلة لا تنتهى من الأخطاء ، وفى نفس الوقت يسوى بين الأخطاء الجليلة والتافهة ، وهذا خطأ كبير من الزوج ، لأن النقد اللاذع والمستمر لأى خطأ ، يجعل الواقع فى الخطأ لا يشعر بخطورة ما وقع فيه ، ذلك لأنه ينتقد عند كل صغيرة وكبيرة نقداً لاذعاً ، كما تجعله لا أمل لديه فى إصلاح نفسه .

ثم إن النقد اللاذع يشعر الشخص المخطئ بالذلة والمهانة ، وهذا أمر غير مطلوب عند معالجة الخطأ ، وعلى الزوج ألا يُشعر زوجته مطلقاً بهذا الأمر ، إن المرأة تصبح لديها حساسية مفرطة تجاه زوجها الذى من هذا النوع بالذات ، ذلك لأن المرأة بصفة عامة تتأذى من النقد ، وتحب أن تبدو فى أعين غيرها جميلة الصفات ، فإذا وجدت من ينتقدها نقداً لاذعاً تكرهه ، وتنفر منه ، إنها تحتاج إلى معاملة رقيقة ، تحتاج إلى الحب والعطف ، فلماذا لا تعالج أخطاء زوجتك بالحب بدلاً من النقد اللاذع ؟!! ، لماذا لا تكن رفيقاً بأهلك ؟!! ، إن الرجل الرفيق بأهله يحبه الله تعالى ، وفى الحديث الشريف : « **إن الله يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف ، وما لا يعطى على سواه** » (١) .

وعن رسول الله ﷺ أيضاً قوله : « **إن الله إذا أحب أهل بيت أدخل عليهم الرفق** » (٢) .

ويؤكد الخبراء على أهمية الرفق مع الزوجة ، وأن لا يكثر الزوج النقد لزوجته ، وعلى أن النقد اللاذع سبب مباشر لحالات كثيرة من الطلاق ، وينقل دايل كارينجى فى « كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس » عن الكاتبة « دورثى ديكس » قولها : « ويعلّق على قولها فيقول : « وهى تعنى النقد العقيم الذى يكسر القلب ، ويذل النفس ، فعليك أيها القارئ أن لا تنتقد نقداً عقيماً يكسر القلب ويذل النفس » (٣) .

وإن كان لابد من النقد فلنجعله خفيفاً على النفس ، ولتذكر قول أحد

---

(١) رواه مسلم (٦٥٤٤) .
(٢) رواه أحمد (٢٣٩٠٦) والبيهقى فى الشعب (٦٥٦٠) .
(٣) « كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس » دايل كارنيجى .

الصالحين : « الحق مر ، فاستعينوا عليه بحلو الكلام » ، فإن كان النقد لشيءٍ حقٍ ، فهو لاشك مر ، ويحتاج لحلو الكلام وطيبه حتى تقبله النفوس ولا تستثقله ، وهو ليس مراً لذاته ، وإنما لتسلط الشيطان على النفوس ومحاولته ثنيها عن اتباع الحق .

● إهمال عامل العرف عند معالجة أخطاء الزوجة :

إن ما يمكن اعتباره خطأ فى العلاقة الزوجية وخصوصاً فى أمر خدمة الزوجة زوجها ، هذا الأمر قد يختلف من شخص لآخر حسب اعتبار الأعراف والعادات ، ولتوضيح الأمر أكثر نقول إن خدمة المرأة زوجها أمر يختلف من امرأة لأخرى حسب طبيعة وحدود وكيفية هذه الخدمة ، فقديماً مثلاً كانت المرأة تعجن وتخبز وتدير الرحى ، وترعى الغنم ، ونحو ذلك وربما لا يزال هذا الأمر كائناً فى بعض المجتمعات البدوية أو الريفية إلى الآن ، لكن المرأة التى تعيش فى المدينة لا علاقة لها بمثل هذه الأمور ، وقد تكون لم تسمع عنها من قبل ، وهكذا فى بقية أمور الخدمة فهى تتبع العرف والعادات وهى تختلف من مجتمع لآخر ومن قبيلة لأخرى ومن عائلة لعائلة ثانية ، ولذلك عندما تحدث علماء المسلمين عن موضوع خدمة الزوجة زوجها اعتبروا عامل العرف ووضعوه كمقياس لتحديد مستوى هذه الخدمة .

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حين تحدث عن خدمة المرأة زوجها فى الفتاوى فقال : « تنازع العلماء هل عليها أن تخدمه فى مثل فراش المنزل ومناولة الطعام والشراب ، والخبز والطحن لمماليكه ، وبهائمه ، مثل علف دابته ونحو ذلك ، ثم من هؤلاء من قال : تجب الخدمة اليسيرة ، أو منهم من قال : « تجب الخدمة بالمعروف ، وهذا هو الصواب ، فعليها أن تخدمه الخدمة المعروفة من مثلها لمثله ، ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال ، فخدمة البدوية ليست كخدمة القروية ، وخدمة القروية ليست كخدمة الضعيفة » .

فاعتبار عامل العرف أمر هام وضرورى فى تحديد معنى الخطأ ، أو درجته ، وعلى الزوج أن يكون على دراية ومن البداية وقبل الزواج بمثل هذا الأمر ، وليكن على دراية بكيفية وطريقة عيش زوجته وسط أهلها ومجتمعها وعاداتهم وأعرافهم ونحو ذلك ، حتى لا يتزوج ويكون قد رسم فى مخيلته صورة خيالية للزوجة ، وقد تكون هذه الصورة مختلفة تماماً عن الصورة الحقيقية الموجودة فى المجتمع القادمة منه الزوجة ، وهذا الأمر يكون أكثر وأشد وضوحاً عندما يتزوج الرجل من مجتمع آخر مختلف عنه فى العادات والتقاليد والأعراف ، وكذلك عندما يكون الزواج غير متكافئ فيتزوج الرجل بامرأة غير كفئ له أو العكس ، بحيث يكون الفرق بينهما كبيراً من حيث طريقة العيش ، أو المستوى الثقافى ، ونحو ذلك ، ولذلك فإن اعتبار عنصر الكفاءة أمر هام عند القدوم على الزواج ، وقد تحدثنا عن هذا الأمر أكثر من مرة عند الحديث عن اختيار شريك الحياة – لأهميته [١] – وذكرنا حديث رسول الله ﷺ : « **تخيروا لنطفكم ، فانكحوا الأكفاء ، وأنكحوا إليهم** » [٢] .

● عدم اتباع الهدى الإسلامى فى إصلاح الزوجة :

لقد رسم الإسلام للزوج المسلم الطريق الصحيح لإصلاح نشوز زوجته ، ولتقويم اعوجاجها إن كان بها ما يحتاج إلى تقويم ، وجعل هذا الطريق منظماً على مراحل معينة ، قال الله تعالى : ﴿ **وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً** ﴾ [النساء : ٣٤] .

---

(١) انظر على سبيل المثال كتاب « فن التعامل مع الجنس الآخر » للمؤلف .

(٢) الحديث رواه الحاكم (٢٦٨٧) وابن ماجه (١٩٦٨) ، وابن أبى شيبة (١) ، والبيهقى فى الكبرى (١٤٠٦٠) والدارقطنى (١٩٧) بمثله وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير .

ثلاث مراحل : الوعظ ، ثم الهجر فى المضاجع ، ثم الضرب وهو الضرب غير المبرح كما سيأتى بيانه .

إن النشوز هو أعلى مراتب عصيان الزوجة زوجها ، فالنشوز يعنى الارتفاع ، وهو هنا يعنى ارتفاع الزوجة عن طاعة زوجها ، فلا تسمع له أمراً ولا تنفذ له ما يريد ، ومن الطبيعى أن هذا النشوز له سبب أو أسباب ، فليس من الطبيعى أن تعصى الزوجة زوجها أو لا تلتفت لأوامره إلا لأسباب معينة ، ومن هنا كانت أول مهمة وأول خطوة يجب أن يفعلها الزوج لإصلاح نشوز زوجته وما يترتب عليه من أخطاء تقع فيها أقلها عدم تنفيذ أوامر الزوج ، أول خطوة لعلاج هذا الأمر هى معرفة سبب أو أسباب هذه الأخطاء ثم وعظ الزوجة بما ينبغى وبما يجب فعله تجاه زوجها ، وتذكيرها بفضل زوجها عليها ، وأن يبين لها أخطاءها جالية أمامها وأن هذه الأخطاء لا يصح أن تصدر منها ، ويذكرها بعاقبة تلك الأفعال ، فى الدنيا والآخرة ، وهذه هى الموعظة .

قال ابن منظور فى « لسان العرب » عن العظة : « وعظ : الوعظ العظة والموعظة النصح والتذكير بالعواقب ، قال ابن سيده : هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب ... » .

والموعظة تحتاج إلى فن فى الوعظ ، وتحبيب الشخص فى فعل شىء معين ، وتنفيره من فعل آخر ، ومن هنا كان الواجب على الزوج أن يبدأ أولاً بهذا الموضوع وهو العظة فى إصلاح زوجته ، فالعظة تلين القلب وتنسيه الغضب ولابد أن تكون العظة بكلام طيب وبأسلوب جذاب حتى تكون أدعى لتليين القلوب ، وعدم تنفيرها ، فإذا جُرب الوعظ ولم يُجدِ ، وكانت الزوجة متصلبة ، فيلجأ الزوج لأسلوب آخر قد يجدى مع الزوجة الناشز ألا وهو الهجر فى المضجع ، والهجر فى المضجع بالذات وعدم الهجر مطلقاً حتى يكون أدعى للتصالح ورجوع الزوجة عما تقترفه ، فقد يكون الهجر أبلغ من الكلام فى

بعض الحالات/، فإن لم يُجدِ الهجر فهناك نوع من النساء لا ينفع معهن غير الضرب ، ولكن هذا الضرب يكون آخر وسيلة يلجأ إليها الزوج كما يقال : « آخر الدواء الكى » ، كما أن الضرب له شروط ، من هذه الشروط : ألاَّ يكون ضرباً مبرحاً ، يعنى مؤثراً على البدن ، كمن يضرب زوجته بالعصا فيؤثر فى جسدها ، أو من يضربها بيده فيدمى وجهها ، ونحو ذلك ، فهذا الأسلوب وهذا الضرب لا يصح أن يتعامل به الرجل مع زوجته ، فهى ليست حيواناً ولا عبداً عند الزوج ، وهذ الضرب لا يجوز ، وهو أمر ترفضه الشريعة الإسلامية ، يقول رسول الله ﷺ : « **لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ، ثم يجامعها من آخر اليوم** » (١) .

والحديث ينهى عن ضرب المرأة ضرباً مبرحاً ، ويتعجب من أن يجلد الرجل امرأته كما يجلد العبد ثم إذا به يجامعها من آخر اليوم ، وفى هذا تناقض عجيب ، يعنى يهينها أول النهار ثم إذا به يرجو محبتها وودها آخر الليل ، هذا أمر لا يصح أن يتصف به عاقل ، ولذلك فسرّ العلماء قوله تعالى : ﴿ **اضْرِبُوهُنَّ** ﴾ بقولهم : « أى ضرباً غير مبرح » (٢) .

وجاء فى صحيح مسلم قوله ﷺ :« **اتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح** » (٣) .

ليس هذا فحسب بل قال عليه الصلاة والسلام عمن يضربون زوجاتهم : « **ليس أولئك بخياركم** » (٤) .

---

(١) رواه البخارى (٤٩٠٨) .
(٢) فتح البارى (١٩٩٧/٥) .
(٣) صحيح مسلم .
(٤) رواه أبو داود (٢١٤٦) والنسائى (٩١٦٧) وابن ماجه (١٩٨٥) .

قال القرطبى : « أمر الله أن يبدأ النساء بالموعظة أولاً ، ثم الهجران ، فإن لم ينجعا فالضرب فإنه هو الذى يصلحها له ويحملها على توفية حقه والضرب فى هذه الآية هو ضرب الأدب غير المبرح وهو الذى لا يكسر عظماً ولا يشق جارحة ونحوها ، فإن المقصود منه الصلاح لا غير ، وكذا ضرب المؤدب غلامه لتعليم القرآن »[١] .

قال عطاء سألت ابن عباس : « ما الضرب غير المبرح ؟! ، قال : بالسواك ونحوه »[٢] .

وقد فهم بعض الأزواج هذا الضرب فهماً خاطئاً فأصبح له منهجاً فى التعامل مع زوجته الضعيفة ، وهذا والله من قلة إيمان هؤلاء وقلة تقواهم لله عز وجل ، فالضرب بالشروط المذكورة آنفاً آخر وسيلة يلجأ إليها الزوج إنْ اعتقد صلاحيتها وجدواها فى العلاج ، أما أن يتخذها وسيلة لفرض سيطرته على الزوجة وإذلالها فهذا ليس بخلق مسلم ، فليتذكر الزوج حين يظن أنه قادر على زوجته ليتذكر قدرة الله عليه ، وقد يتحجج البعض بحديث : « **لا يسأل الرجل فيم ضرب زوجته** » وهو حديث ضعيف ، قد يتحجج به فى ضرب زوجته من غير خشية لله تعالى ، والحديث إن صح لكان الغرض منه المراقبة لله تعالى ، وعدم ضرب الزوجة ضرباً مبرحاً لأنه لا يطلع أحد على الزوج أو على ما بينه وبين زوجته ، لذلك ذكر الإمام النووى هذا الحديث فى « رياض الصالحين » فى باب « المراقبة » ، أما أن يتخذ ذريعة لضرب الزوجة بغير اتباع التدرج فى الإصلاح أو ضربها ضربا مبرحاً فهذا لا يجوز ، فما بالك والحديث ضعيف أصلاً ، إذ كيف لا يسأل المرء عن ضرب زوجته أياً كان هذا الضرب ؟! ،

---

(١) تفسير القرطبى (١٧٢/٥) .
(٢) المصدر السابق (١٧٣/٥) .

فالحديث قال عنه الشيخ الغزالى – رحمه الله – « رواه أبو داود بسند ضعيف مبتور التسلسل » .

والمعروف عن النبى ﷺ أنه لم يضرب بيده امرأة قط ولا خادماً ، ولم يضرب بيده أحداً إلا أن يجاهد فى سبيل الله .

والخلاصة :

أن الضرب لا يمكن أن تقوم عليه الحياة الزوجية ، فهو آخر وسيلة يلجأ إليها الزوج بالشروط المذكورة آنفاً وهى :

[١] أن يكون الضرب آخر الوسائل .

[٢] أن لا يكون ضرباً مبرحاً .

[٣] أن يكون الضرب وسيلة للإصلاح ، يعنى يثبت جدواه .

[٤] أن لا يعتمد الضرب أسلوباً فى التعامل مع زوجته .

وأن يضع الزوج فى اعتبار أن خيار الأزواج لا يضربون زوجاتهم .

● عدم مراعاة عامل السن عند علاج أخطاء الزوجة :

على الزوج أن يضع فى اعتباره عدة عوامل عند علاجه لأخطاء زوجته ، من هذه العوامل عامل السن ، فالمرأة المتزوجة فى سن المراهقة بلا شك سيختلف سلوكها عنها فى سن أخرى متأخرة ، فلكل مرحلة عمرية صفاتها وخصائصها المميزة لها ، وإن كان هناك خصائص مشتركة كثيرة ، فالمرأة حديثة السن مثلاً ستجدها تحتاج كثيراً للخروج والرحلات واللعب ... إلخ لأنها لا زالت مراهقة ، وإن كانت قد تزوجت كما ستجد صفات المراهقة بلا شك ملازمة لها ، فعلى الزوج أن يراعى مثل هذه الأمور ولا يعتبرها أخطاءً فى زوجته ، إنها طبيعة السن والمرحلة العمرية ليس أكثر ، ولقد وجدنا كيف أن النبى ﷺ كان يقدر مثل هذا الأمر عند السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فقد

تزوجها وكانت حينذاك حديثة السن ، فكان ﷺ يترك صويحباتها يدخلن عليهن يلعبن معها وتلعب معهن ، وكان يتركها تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون بالحراب ، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : « **رأيت النبى ﷺ يسترنى بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد ، حتى أكون أنا الذى أسأم ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن ، الحريصة على اللهو** » (١) .

وكان ﷺ يسابق السيدة عائشة رضي الله عنها ، تقول رضي الله عنها : « **كنت مع النبى ﷺ فى سفر فسابقته ، فسبقته على رجلى ، فلما حملت اللحم سابقته فسبقنى ، فقال : هذه بتلك السبقة** » (٢) .

هذا وقد كانت عائشة رضي الله عنها وهى زوجة رسول الله ﷺ وفى حداثة سنها ، كانت تلعب فى بيتها مع الجوارى « البنات الصغار » وهى تحكى رضي الله عنها موقفاً من هذه المواقف فتقول : « **قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر ، فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات يلعبن بهن ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ما هذا يا عائشة ؟! قالت عائشة : بناتى « يعنى صويحباتى » ورأى بينهن فرساً له حناجان من رقاع ، فقال : ما هذا الذى أرى فى أوسطهن ؟! ، قالت : فرس ، قال : وما هذا الذى عليه ؟ قالت : جناحان قال : فرس له جناحان ؟! ، قالت عائشة : أما سمعت أن سليمان كان له خيلٌ لها أجنحة ؟! ، قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه** » (٣) .

فإذا تزوج رجل بامرأة حديثة السن صغيرة فليقدر لها هذا الأمر ولا يعتبر مثل تلك الأمور من الأخطاء التى يجب معالجتها وإنما هى طبيعة مرحلة .

---

(١) رواه البخارى (٤٩٣٨) ومسلم (٢٠٦١) وغيرهما .
(٢) رواه أبو داود (٢٥٧٨) وأحمد (٢٥٧٤٥) .
(٣) رواه أبو داود (٤٩٣٢) .